في تدبير الاختلاف الإنساني:
"معالم أخلاقية قرآنية"

د. محمد الصادقي العماري

مركز تدبير الاختلاف للدراسات والأبحاث، فاس- المغرب

الملخص:

القرآن الكريم كتاب أخلاق، وخطاب الوحي عموما خطاب هداية وإرشاد للبشرية إلى مصالحهم ومنافعهم، ودفع الضرر عنهم في العاجل والآجل، وجعل القرآن الكريم الأخلاق مدخلا مركزيا في إصلاح الإنسان، ومعالجة الظواهر الاجتماعية والإنسانية عموما، لذلك وضع معالم أخلاقية لتدبير الاختلاف، وضبط العلاقات الإنسانية، والحد من الصراعات والنزاعات الإثنية والدينية والطائفية، وهذا ما تحاول هذه الورقة معالجته بالوقوف على المعالم الأخلاقية الوقائية (المحور الأول)، والمعالم الأخلاقية العلاجية(المحور الثاني) لتدبير الاختلاف الإنساني، وإدارته بحكمة.

الكلمات المفتاحية: تدبير- الاختلاف- الانسان- الاخلاق- القيم- القرآن- الاصل- الاخوة- المشترك- التعايش

***Abstract**:*

The Quran is a book of ethics, and the letter of revelation is generally a letter of guidance to mankind for their interests and benefits, and to pay harm to them in the immediate and future time, and to make the Holy Quran a central input in human reform, and to address social and humanitarian phenomena in general, Therefore, the development of moral parameters to manage the difference, and the control of human relations, and limit disputes and ethnic, religious and sectarian conflicts .

This paper attempts to address the preventive ethical parameters (the first axis) and the therapeutic ethical principles (second axis) to manage human difference wisely.

keywords*: *Management, Difference, Human, Morality, Values, Quran, Origin, Brotherhood, Co-Existence

المدخل:

الإسلام دين يدعوا الخلق إلى ما يصلح حالهم في الدنيا والآخرة، يهديهم إلى الأخلاق والقيم النافعة يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:9)، فالقرآن الكريم كتاب أخلاق، لذلك يصعب الحديث عن الأخلاق في القرآن الكريم، لأن القرآن الكريم كتاب أخلاق، مما يجعل البحث في موضوع الأخلاق في القرآن الكريم بحث في الإسلام كله، لأن خطاب الوحي خطاب هداية وإرشاد للبشرية إلى مصالحهم ومنافعهم.

لكننا نحاول في هذه الورقة الوقوف على بعض المعالم الأخلاقية لتدبير الاختلاف الإنساني، وذلك من خلال رؤية القرآن الكريم، باعتباره خطابا موجه للبشرية عموما، ودليل ذلك صيغة "يا أيها الناس" المتكررة في آياته.

وقسمت هذه الدراسة إلى محورين كبيرين:

المحور الأول: المعالم الأخلاقية الوقائية: وتناولت في هذا المحور أربعة معالم: المعلم الأول: الأخوة الإنسانية، المعلم الثاني: الجنوح إلى السلم، المعلم الثالث: العدل والقسط، المعلم الرابع: التعارف والتعاون الإنساني.

المحور الثاني: المعالم الأخلاقية العلاجية: وتناولت في هذا المحور خمسة معالم: المعلم الأول: الحوار والجدل بالتي هي أحسن، المعلم الثاني: الشورى ومحاربة الاستبداد، المعلم الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المعلم الرابع: التعارف والتعاون الإنساني، المعلم الخامس: الالتزام بالعهود والمواثيق.

أما المنهج المعتمد في هذه الورقة فهو منهج التحليل والتفكيك للأخلاق الوقائية والعلاجية، وبيان دورها في تدبير الاختلاف الإنساني، معتمدا بصورة أساسية على الأمور التالية:

1- الانطلاق من المرجعية الأولى للإسلام: القرآن والسنة.

2- الرجوع إلى مفكري الإسلام في قراءة نصوص الوحي

3- عدم اعتماد الاستقراء التام، والاكتفاء بمنهج النمذجة في عرض النصوص، سواء منها: نصوص الوحي أو نصوص الفكر.

ولا أدعي أني أقدم نظرية متكاملة عن الأخلاق في القرآن الكريم، ودورها في تدبير الاختلاف الإنساني، لكن حسبي أني أقدم محاولة متواضعة للجواب عن سؤال مدخل الأخلاق في تدبير الاختلاف الإنساني، واجتهدت في محاولة تقسيم هذه الأخلاق إلى: وقائية وعلاجية.

المحور الأول: المعالم الأخلاقية الوقائية

المعلم الأول: الأخوة الإنسانية:

وللأخوة الإنسانية ثلاث مظاهر: الأخوة في وحدة الأصل الإنساني، الأخوة في الوطن والنسب ..، والأخوة في الكرامة.

1- أخوة في وحدة الأصل الإنساني:

فإن الإنسانية جمعاء خلقت من نفس واحدة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: 1)..[1] فهذا خطاب إلهي للمجتمع البشري ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يقول الإمام الرازي أن: "الأصوليون .. اتفقوا على أن الخطاب عام لجميع المكلفين"[2]، بأنهم خلقوا ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، يعني آدم، فهو سبحانه يعرف عباده كيف كان مبتدأ خلقهم من نفس واحدة، فهم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة[3]، في إشارة إلى وحدة الأصل الإنساني.

يقول عبد المجيد النجار في أهمية الأصل الإنساني الواحد في تدبير الاختلاف الإنساني: "ولما يقع في التصور أن أصل الناس واحد وخالقهم واحد، فإن النفوس المؤمنة بذلك تستوي على وحدة في الشعور بالمساواة في الإنسانية والأخوة فيها، ويلابسها تبعا لذلك التسليم التلقائي بمبدأ التكافؤ بين الناس، كما يلابسها الشعور بالتقارب بينهم، وتنتفي منها دواعي التمايز والتعالي التي يورثها الإيمان بالاختلاف التفاضلي في أصل الخالق أو في أصل الخلقة.."[4]

من أجل توثيق العلاقات الإنسانية، والوقاية والحد من النزاعات والصراعات والاختلافات، التي تنشأ في غفلة عن هذا الخلق الإنساني المشترك، والموحد للإنسانية والمؤلف بينها، فهو جامع في إطار الاختلاف الطبيعي.

فإن استشعار أن الإنسانية من أصل واحد، من شأنه تأليف البشرية، إذا استشعرت هذا الأصل الواحد لخلقها وتكوينها، فهي موحدة في أصل الخلق من نفس واحدة ومن تراب واحد ومن ماء واحد، فما المانع من أن تكون موحدة ومتآلفة.

2- أخوة في الوطن:

ورد في الخطاب القرآني إطلاق القرآن الكريم لفظ الأخوة على العلاقة بين النبي المرسل والقوم المرسل إليهم، فسمى الله تعالى النبي المرسل إلى قومه الكافرين بأخيهم فقال تعالى:﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ..﴾ (الأعراف: 65)[5] فقد نسب الله تعالى سيدنا هود إلى قومه عاد لأنه كما يروي الفخر الرازي عن الكلبي: "كان واحدا من تلك القبيلة"[6].

ومعلوم بالبداهة أنه لم يكن أخا لهم في الدين، وذكر ابن عاشور أن الأخ هنا مستعمل في مطلق القريب، على وجه المجاز المرسل، كقولهم: يا أخا العرب ..، ويطلق مجازا أيضا على المصاحب الملازم ..، والمراد أن هودا كان من ذوي نسب قومه عاد، وقال: بأن العرب كانت تقول للواحد من القبيلة: أخو بني فلان، قصدا لعزوه ونسبته تمييزا للناس، ولم يوصف نوح بأنه أخ لقومه لأن الناس في زمانه لم ينقسموا إلى شعوب وقبائل إلا بعد الطوفان[7].

والآية فيها إشارة إلى الأخوة الإنسانية الجامعة داخل الوطن، أو الإقليم، قال رشيد رضا: "والآية دليل على جواز تسمية القريب أو الوطني الكافر أخا"[8].

3- أخوة في الكرامة الإنسانية:

تكريم القرآن الكريم للإنسان بإطلاق، بغض النظر عن فكره أو جنسه أو معتقده، أو شعبه أو قبيلته ..، من مقتضيات الأخوة الإنسانة، فهو إشارة إلى موقع الإنسان وقيمته في هذا الكون، فالكرامة الإنسانية جامع للبشرية رغم اختلافاتها، فإن الوعي بهذه الكرامة والإيمان بها، والتوجه نحو الممارسة العملية لمقتضياتها، وأبعادها الإنسانية، حسب ما قرره القرآن الكريم وأشار إليه من أشكال وأنواع وأبعاد لهذه الكرامة، كفيل بتدبير اختلافات المجتمع الإنساني، والتقليل منها، والوقاية من وقوعها.

3-1-الإنسانية مكرمة الأصل والفرع:

فإن البشرية مكرمة الأصل قال تعالى على لسان إبليس ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:62) ومكرمة الفرع :﴿وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: 70) يقول الشاهد البوشيخي إن الله عز وجل في هذا الخطاب: "مخاطبا الإنسانية بتعبير اليوم، وبني آدم بتعبير القرآن .."[9].

فالخطاب التكريمي خطابا لكل البشرية من غير تخصيص ولا تمييز ﴿بَنِي آدَمَ﴾ كل نسل آدم، إلا من أبى ورفض تكريم الله له، وأهان نفسه ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ (الحج:18) وأنزل نفسه منزلة الحيوان، -كمن جعل أصله قرد-، أو غيره من المخلوقات التي فضل الله تعالى الإنسان عليها ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: 70)

3-2- مظاهر الكرامة الإنسانية:

3-2-1- التكريم المعنوي:

- **خلق الله تعالى الإنسان بيديه:** ومن تكريم الله تعالى للإنسان أنه خلقه بيديه: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (ص:75) فهذا دليل على نفاسة الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات يقول الإمام الرازي: "إنَّ السلطان العظيم لا يقدم على شيء بيده إلاَّ إذا كانت غاية عنايته مصروفة إلى ذلك العمل.."[10]

بذلك لم يكن خلقا عاديا من قبيل كن فيكون، بل له خصوصية مباشرة الله سبحانه لخلقه بيده[11]، وبهذا يشرف الإنسان ويسموا، فهذه المباشرة بالخلق والصنع مظهر تكريم الله تعالى للإنسان، وجامع يوحدهم ويؤلف بينهم.

- **نفخ الله تعالى في الإنسان من روحه:** ومن تكريمه أنه سبحانه نفخ فيه من روحه ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ (السجدة:9) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:29) قال تعالى:﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص:71-72) ﴿..وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ..﴾ فالستوت البشرية في وحدة النفخة الإلهية.

- **أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم:** أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر: 28-30)

- **علمه ما لم يكن يعلم:** فكان أول ما نزل على رسول الله الأمر بالقراءة وتعليم الإنسان ما لم يعلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق:1-5)

وكرم الله عز وجل الإنسان تكريما معنويا بالعلم، فعلم آدم الأسماء كلها قال تعالى في حواره مع الملائكة في شأن خلق آدم ﴿.. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ..﴾ (البقرة:29)

- **علمه البيان:** وعلمه البيان قال تعالى﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: 3-4)، كما كرمه بالعقل الذي هو محل النظر والتفكير والابداع.

2-2-3 التكريم المادي:

- **وسائل التواصل والتعارف واكتساب المعارف:** ومن تكريم الله تعالى للإنسان أن جعل له حواس يتواصل بها مع الخلق، ويكتسب بها المعارف، ويؤدي بها وظائف أخرى قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (السجدة: 9)

- **إحسان تقويم الإنسان وتسويته وتصويره:** ومن تكريم الله تعالى للإنسان، إحسان تقويمه وتسوية جسده قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين:4)، قال تعالى﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن:3)

- **التمتع بالطيبات:** وجعل الله تعالى التمتع بالطيبات من الرزق من تكريمه سبحانه للإنسان قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: 70)

ومن مظاهر التكريم إنعامه على الخلق بطيبات المأكل والمشرب[12]، وطيبات الملبس والزينة[13]، وطيبات المركب[14]، وطيبات المسكن[15]، وذكر بعد نعمة السكن طيبات ونعم أخرى كرم الله بها الإنسان[16]، وطيبات الاستمتاع بالجنس الحلال[17].

3-3- أكرم الناس عند الله العابدون المتقون:

وكان أكرم الناس عند الله تعالى العابدون المتقون لله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:13) يقول محمد رفيع: "منبع كرامة الإنسان إنما تكمن في تحرره من عبودية غير الله تعالى، حتى لا يبتعد عن أصل تكريمه وتشريفه، فعبودية غير من كرم سقوط فيما يناقض التكريم وينافي التشريف، كما أن الدخول في سلك العبودية لله تعالى صعود في مدارج التكريم"[18].

فإن هذا التكريم لجنس الإنسان، يجعل الإنسان يعامل نفسه بكرم، ويعامل غيره المخالف له في الفكر والمعتقد واللون واللسان.. بكرم، لأن الأخوة في الكرامة الإنسانية، خلق وقائي في عملية تدبير الاختلاف الإنساني.

وحين نبتعد عن الوحي والقرآن نشاهد من يشرع للإنسان وهو يضع نظريات وأفكار بعيدة كل البعد عن كرامة الإنسان ومساواته مع أخيه الإنسان، فهذا نتشه يقسم الإنسان إلى أعلى وأدنى، ويقسم الأخلاق إلى قسمين: قسم للسادة لا يقبله العبيد وقسم للعبيد لا يقبله السادة، فليس بين الفريقين جامعة إنسانية تلتقي بهم في صفة من الصفات، بل هم أعداء يتسلط منهم القادر على العاجز، ولا يحسن بالمتسلط أن يقبل من العاجز غير الخنوع والهبوط في الذلة، من هاوية إلى هاوية، لا نهاية لها غير الانقراض والفناء.[19].

المعلم الثاني: الجنوح إلى السلم:

أمر الله تعالى بالدخول في السلم وترك نقيضها وهو الحرب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: 208) وحقيقة السلم المأمور به في الآية يقول ابن عاشور: "الصلح وترك الحرب .."[20]، ويقول أبو زهرة:

"الأصل في علاقات الدول بعضها مع بعض أو بعبارة أدق العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم لا الحرب، فالمسلم ينظر إلى من يخالفه نظرة الود الراحم، لا العداوة القاطعة"[21].

وقال تعالى في الميل إلى السلم وترك القتال إذا طلبه المخالف: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ..﴾ (الأنفال:61)[22] يقول زيد بن علي: "معناه: مالوا، والسلم الصلح"[23]، ويقول أبو زهرة: "وإذا قامت الحرب بين المسلمين المؤمنين بالقرآن، فإن الإسلام يتشوف للسلم يبتغيه، ولا يريد الاستمرار في مذبحة بشرية، فإن مالوا للسلم أجابهم المسلمون، ولو كانوا يتوقعون الخديعة، ما دامت لم تظهر أماراتها .."[24]، ويقول القنوجي البخاري: "والآية محكمة عند أهل العلم المحققين، والقول بالنسخ مرجوح ومؤول بالجمع بين الآيات .."[25].

يأمر الله تعالى في هذه الآية نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوكل على الله والجنوح نحو السلم، وعدم الخوف من إبطانهم للمكر والخديعة في جنوحهم إلى السلم[26]، وبذلك يقطع القرآن الكريم على المسلمين كل عذر في عدم الميل إلى السلم والمسالمة.

فإن المخالف إذا جنح إلى السلم، وثبت على الصلح الذي بينه وبين المسلمين، فلا يجوز قتاله قال تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء:90) يقول السمرقندي: "فإن ﴿اعْتَزَلُوكُمْ﴾ في القتال ﴿فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أي الصلح، معناه أنهم لو ثبتوا على صلحهم فلا تقاتلوهم، فذلك قوله: ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ أي حجة وسلطاناً في قتالهم"[27].

والمخالف في نظر الخطاب القرآني ثلاثة أقسام يقول أبو زهرة: "الأول: المحاربون للمسلمين، وهؤلاء يجب قتالهم لرد اعتدائهم .. والقسم الثاني أهل الميثاق الذين بينهم وبين المومنين ميثاق عدم الاعتداء، وهؤلاء يحترم ميثاقهم، بل يمتد احترام الميثاق إلى الذين لهم به صلة، بحيث يكون سلمهم واحدة وحربهم واحدة. والقسم الثالث المحايدون الذين لا يكونون مع المومنين ولا مع أعدائهم .. فقال لا سبيل عليهم فكان الحياد ثابتا بنص القرآن الكريم"28.

المعلم الثالث: العدل والقسط[29]:

فإن المجتمع الإنساني المعاصر، يفتقد إلى الهدى القرآني، لإعادة بناء وحدته وألفته، للخروج من حالة الصراع والنزاع، والتفكك، والظلم والاستبداد، والأنانية وحب الأثرة بالمال والجاه والسلطة دون الآخرين ..، لذلك أمر القرآن الكريم بخلق العدل والقسط في الأرض، ونهى عن الظلم بكل أشكاله وألوانه ..، تعاليا عن كل مظاهر الاختلاف الإنساني ..، من أجل بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف، والتعاون والتساند والتبادل الحضاري.

فإن رقي العلاقة الإنسانية وتحضرها، قائم على مدى تفاعلها مع منهج الخطاب الإلهي، الباني للإتلاف، والمضيق لمساحة الاختلاف، "فقوام صلاح العالم بالإيمان بالكتاب الذي يحرم الظلم وسائر المفاسد .. ويأمر بالعدل في الأحكام الذي يردع الناس عن الظلم بعقاب السلطان"[30].

جاءت في الخطاب القرآني إشارات كثيرة لخلق العدل، في سياقات مختلفة، منها: العدل مع الله، والعدل مع النفس والعدل مع الناس ..، وذلك لأن الخطاب القرآني على عكس القوانين الوضعية، لم يلحظ في موضوع العدل مجرد علاقة الإنسان بالإنسان فقط، بل لاحظ ذلك وغيره، مما يجعل النظر القرآني لضابط العدل أوسع وأشمل، يغطي كل جوانب حياة الإنسان، وما يهمنا في هذه الدراسة هو خلق العدل في العلاقات الإنسانية، وظلم بعضهم لبعض، لأنه هو السياق المرتبط ارتباطا مباشرا بالاختلاف الإنساني، والنزاعات والصراعات الناشئة بين الأفراد والجماعات والأمم.

العدل خلق قرآني من أخلاق تدبير الاختلاف، ليس خاصا بمجال القضاء فحسب، بل هو شامل لكل مناحي الحياة العامة والخاصة، فاستعماله يشمل الإنسان في خاصة نفسه، وكذلك علاقاته العامة مع المخالف، وهو معلم أخلاقي لتدبير الاختلاف، يعيد التوازن والاستقرار للعلاقات الإنسانية، فهو خلق توزن به الأعمال الشخصية، والعقود والمعاملات المالية، والأحكام القضائية، والأحكام السلطانية، والعلاقات الدولية ..

ولتجلية هذا الخلق القرآني، نتناوله بالدراسة والتحليل في النقاط التالية:

1- العدل مقصد مشترك للشرائع:

أنزل الله تعالى الشرائع إلى الخلق لتنظيم العلاقات الإنسانية، وبعث الرسل والأنبياء لتدبير اختلافاتها، فكان خلق العدل والقسط من المقاصد المشتركة بين هذه الشرائع "فإن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض .."[31].

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ (الشورى:17)، وقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص:26)[32]، وقال بأوضح صيغة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد:25) يقول ابن عطية: "والميزان: العدل .. وقال ابن زيد وغيره من المتأولين: أراد الموازين المصرفة بين الناس .. وقوله: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ يقوي القول الأول[33]"[34]، ويقول الريسوني: "لقد قررت الآية أن إرسال الرسل جميعا، والبينات التي أوتوها، والكتب التي بعثوا بها، والميزان التي فيها ومعها، كل هذا لأجل مقصد واحد، هو أن يقوم الناس بالقسط .."[35].

فالعدل مشترك ديني بين كل الشرائع السماوية يقول النورسي: "فأسس العدالة والفضيلة شيدها الأنبياء عليهم السلام، أي أن الأنبياء هم الذين أرسوا تلك القواعد والأسس"[36]، فدلت الآية على أن غاية إرسال الرسل والكتب هو القيام بالقسط، فكل الرسل وكل الرسالات التي أرسل بها الأنبياء، وكل الموازين التي جاءوا بها، هي من أجل إقامة العدل، وهو مطلوب من الناس جميعهم، فهو الذي يحفظ لكل ذي حق حقه، بغض النظر عن معتقده أو فكره أو جنسه أو لونه .. كما هو صريح القرآن.

2- العدل أساس العلاقة بين الناس:

جعل القرآن الكريم أساس العلاقة بين الناس العدل والقسط قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء:58)، "هكذا بهذا التعميم، إذا حكمتم بين الناس لا بين المسلمين فحسب"[37]، وجاء بأقوى صيغة للتكليف والإلزام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل:90) يقول العز ابن عبد السلام بعد ما اعتبر هذه الآية أجمع آية في القرآن

للحث على المصالح والزجر عن المفاسد: "الألف واللام في العدل .. للعموم والاستغراق، فلا يبقى من دق العدل وجله شيء إلا اندرج في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ .. والعدل هو التسوية والإنصاف .."[38]، ويقول أبو زهرة في سياق الاستدلال بهذه الآية: "كل النظم الإسلامية قامت على العدالة، إذا كانت الشعارات تدعو إلى التسامح ولو مع الظالم ويقول قائلها: استغفروا لأعدائكم، فالإسلام يقول اعدلوا مع كل إنسان ولو كان عدوا مبينا. ومكان التسامح في الأمور الشخصية، لا في الأمور التي تتعلق بتنظيم العلاقات الإنسانية"[39].

فهذه الآية جامعة لأصول التشريع[40]، والعدل يقول ابن عاشور: ".. إعطاء الحق إلى صاحبه، وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات، .. ومن هذا تفرعت شعب نظام المعاملات الاجتماعية، من آداب، وحقوق، وأقضية، وشهادات، ومعاملة مع الأمم .."[41]، فالعدل خلق أساسي في تدبير اختلاف الناس، لأنه حسب ابن عاشور الأصل الجامع لكل الحقوق الراجعة إلى الضروريات والحاجيات.

والخطاب القرآني مليء بالآيات الدالة على وجوب العدل بين الناس، وتحريم الظلم والبغي بينهم، فقضية العدل مركزية في القرآن الكريم، تذوب معها كل مظاهر الاختلاف الإنساني، فهي تقر العدل والقسط المطلق مع جميع الخلق، في تعال تام عن اللغة أو اللون أو الفكر والعقيدة ..

يقول تعالى في الإشارة إلى أن أساس العلاقة مع النفس والأقارب، والفقير والغني، والقريب والبعيد هي خلق العدل والقسط: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:135)

فإذا كان القرآن الكريم يقيم العدل ضابطا قويا ينبغي أن يلتزم به حتى بين الأقارب وبين الولد وأبيه .. رغم ما يكنه لهم من حب وعطف، "على حين يحرم قانون نابليون على الابن أن يشهد ضد أبيه وأمه في قضية مدنية أو جنائية"[42].

فالآية تدل دلالة صريحة على أنه لا طبقية في الإسلام، بل الجميع أمام العدالة على سواء، لا فرق بين غني ولا فقير، ولا فرق بين مسلم وكافر، ولا فرق بين أبيض وأسود، .. والمؤمن مطالب عليه بالقيام بالحق، ونصرة الحق، وأن يؤيد الحق حيثما كان .. 43.

والخطاب القرآني يأمر بالعدل وينهى عن الظلم للمخالف الذي بينه وبين المسلمين كراهية وشنآن قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (المائدة:2) ، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة:8) يقول القرطبي: "أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقا كان أو عدوا، ولهذا قال: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه"[44]، ويقول أبو زهرة: "والعدل ليس موالاة الأولياء، ومعاداة الأعداء إنما العدالة للجميع على سواء، .. فالعدالة مع الاعداء المبغوضين كحاله مع الاولياء المحبوبين أقرب للتقوى"[45].

ويقول طه عبد الرحمان أن الواقع الكوني يزن الأفضلية بميزان القوة لا الحق :"ما دام يزن أفضلية القيم، لا بميزان الحق، وإنما بميزان القوة، فلما كان أقوى من هذه الأمة، كانت قيمه أفضل من قيمها، بل كانت أفضل القيم على الإطلاق، لظهور تفوق قوته على أية قوة أخرى"[46].

المعلم الرابع: التعارف والتعاون الإنساني:

التعارف والتعاون قضية واحدة، لذلك جمعناهما معا في هذا المعلم، فلا يمكن الفصل بينهما، لأن التعاون الإنساني ينبني على التعارف بينهم، فالمتنافرين المتناكرين لا يحصل بينهما تعاون حقيقي، ولا يحصل بينهما تآلف كذلك[47]، فالتنوع والاختلاف البشري من ذكر وأنثى، رجالا ونساء، شعوب وقبائل وأمم، مختلفة الطبائع والأخلاق، مختلفة في المواهب والاستعدادات، مختلفة الألوان والألسنة، مختلفة في الشرائع والمناهج، مختلفة في الفكر والثقافة[48] والحضارة .. لأجل التعارف.

هذا التنوع يقول عبد الله السعدي: "لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف .."[49]، وكلام السعدي يدل على بناء التعاون على التعارف، كما أن هناك أمور أخرى تتوقف على التعارف –حسب السعدي- غير التعاون.

ويقول أبو زهرة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:13) أن هذا النص القرآني يشير إلى ثلاثة معان سامية منها: ".. المعنى الثاني الذي دلت عليه الآية الكريمة أن الاختلاف في الشعوب والقبائل والأجناس يوجب التعارف، ولا يسوغ التخالف، والتعارف يقتضي تعاون أبناء الأرض على استغلال كل ينابيع الثروة في الأرض، بحيث يفيض أهل كل إقليم على الآخر بفضل ما عنده، من غير بخس ولا شطط، ومن غير من، ولا أذى، ويقتضي المساواة في أصل الحقوق الإنسانية، الثابتة من اتحاد الأصل، ويقتضي العدالة، ولا يرهق جنس آخر بظلم، أو أذى أو مضايقة أو استعباد"[50]، وقال في موضع آخر من نفس الكتاب: "فبهذا النص يبين القرآن الكريم أن العلاقة التي يجب أن تكون السائدة التعارف، والتعارف تكون معه المودة، والتعاون وإقرار السلام، وإحياء التراحم"[51].

فلا تعاون حقيقي بدون تعارف، فالتعاون الإنساني لا يقوم ولا يثمر إلا على أساس التعارف الإنساني، يقول الإمام السيوطي في إشارة إلى هذا المعنى: ".. أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لا بد من التعاون ولا تعاون إلا بالتعارف .."[52].

والتعارف والتعاون كما دعا إليه القرآن الكريم، فهو ضرورة اقتضتها المواطنة ووحدة الدار، فلا يمكن بناء الأوطان وتنميتها في ظل الإقصاء، أو النزاع الطائفي والديني أو الحزبي، فبناء دولة المؤسسات اليوم، تقتضي التعاون، وفتح قنوات التواصل والتعارف، من أجل العيش المشترك يقول محماد رفيع: "فالتعارف أساس دعا إليه القرآن، وضرورة أملتها ظروف المشاركة في الدار أو الوطن بالتعبير العصري، وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلا من إهمالها، فقد نص القرآن

الكريم بإطلاق، ومن غير تقييد ولا تخصيص[53]، أن من مقاصد التنوع بين البشر التعارف والتعاون .."[54].

ويشير القرآن الكريم إلى التعارف[55] الإنساني، وفتح قنوات الحوار والتواصل، من أجل التكامل المعرفي والأخلاقي .. في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات:13) يقول الشيخ النورسي: "أي: خلقناكم طوائف وقبائل وأمما وشعوبا كي يعرف بعضكم بعضا ونتعرفوا على علاقاتكم."[56] وقد يفهم من النص القرآني حصر التعارف على الشعوب والقبائل، بل التعارف مشروع مفتوح على لتدبير كل مظاهر الاختلاف.

والتعارف معناه تبادل المعرفة والخبرة بين الأفراد، وبين الأمم والحضارات، لتحقيق البقاء والرخاء والهناء للبشرية جمعاء، والتعارف ليس معناه الاجتماع حول طاولة لتبادل الآراء ليس إلا، بل الحوار الحضاري أو التعارف بالمفهوم القرآني يعني ذلك، ويعني بالأساس تبادل المنتجات الحضارية ذات القيمة الإنسانية، سواء كان إنتاجا ماديا أو إنتاجا معنويا.

ودعا الخطاب القرآني إلى التعاون على كل بر وتقوى، والنهي عن كل إثم وعدوان[57] قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:2) والخطاب هنا موجه إلى المجتمع الإنساني بكل أفراده ودوله ومنظماته وجمعياته، قال الإمام القرطبي: "وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى"[58]، ويقول ابن حزم: ".. التعاون على البر والتقوى فمتوجه إلى كل اثنين فصعدا .."[59]، أمر الله تعالى نوع الإنسان بالتعاون على البر والتقوى دون إثم ولا عدوان[60].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ يشمل الأعمال الخيرية، والمشاريع الاجتماعية في التعليم والصحة الاقتصاد والإسكان .. "قال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته .."[61]، ولا شك أن هذا تمثيل لا حصر، فكل ما ينطبق عليه مسمى البر والتقوى فيجب فيه التعاون، "وكل عمل يصلح الارتفاقات التي بني عليها نظام الإنسان"[62]، فهو من البر الذي يجب التعاون عليه.

فالقرآن خطاب هداية الناس إلى ما يصلح علاقاتهم مع خالقهم، من غير أن يغفل الواجب الاجتماعي والإنساني، المتعلق بعلاقات الناس فيما بينهم، وإدارة اختلافاتهم، فيعود معنى البر والتقوى إلى: "الصلاح والتقوى الاجتماعيان"[63].

والنهي عن التعاون عن الإثم والعدوان في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يكون بمحاسبة المفسدين، ورد المعتدين، والمغتصبين، وتفعيل القوانين الدولية، بخصوص المخالفات التي تقوم بها بعض دول الاستكبار العالمي، أو المنظمات التابعة لها، وتفعيل القوانين الوطنية والمحلية في حق مخالفات الأفراد، والجمعيات، والمنظمات، والأحزاب الوطنية.

يقول سيد قطب إن الإنسانية في التصور الإسلامي: "وحدة تفترق أجزاؤها لتجتمع، وتختلف لتتسق، وتذهب شتى المذاهب لتتعاون في النهاية بعضها مع بعض، كي تصبح صالحة لتتعاون مع الوجود الموحد"[64].

المحور الثاني: المعالم الأخلاقية العلاجية

المعلم الأول: الحوار والجدل بالتي هي أحسن.

يعتبر الحوار والجدل بالتي هي أحسن، خلق قرآني علاجي للاختلاف الإنساني، وطريق واضح للبحث عن الحقيقة، يقول الباجي: أن علم الجدل والمناظرة: "علم يعد من أرفع العلوم قدرا، وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم"65.

كثر في الخطاب القرآني مجادلة أهل الكتاب خاصة، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران:65)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (آل عمران:70)، (النساء: 171) (المائدة: 59) (المائدة: 68) (المائدة: 77) ..، وقال تعالى مرشدا المسلمين إلى الأسلوب الأحسن في المنهج الجدلي مع أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت:46)، وقال تعالى في أساس هذا المنهج وهو الاعتماد على

الدليل والبرهان: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: 148).

والخطاب القرآني حافل بالعديد من المواقف الجدلية، سواء مع أهل الكتاب أو غيرهم من المخالفين عموما، مما يدل على أن الخطاب القرآني اعتمد خلق الجدل بالتي هي أحسن في تدبير الاختلاف مع المخالف، يقول ولي الله الدهلوي: "قد وقعت المخاصمة في القرآن العظيم مع الفرق الأربع الضالة: المشركين واليهود والنصارى والمنافقين، وهذه المخاصمة على طريقين: أولا: أن يذكر سبحانه وتعالى العقيدة الباطلة، مع التنصيص على شناعتها، ويذكر استنكارها فحسب. الثاني: أن يبين شبهاتهم الواهية، ويذكر حلها بالأدلة البرهانية أو الخطابية"[66].

أما شبهة من قال بمنع الحوار مع المخالف فإنها باطلة لأن الله تعالى قال -زيادة على ما سبق-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:125).

وقال صلى الله عليه وسلم: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»[67]، ويقول ابن حزم: "وهذا حديث في غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله"[68].

المعلم الثاني: الشورى ومحاربة الاستبداد:

الشورى من مميزات النظام الإسلامي، فهي تتضمن مبادئ: التداول السلمي للأفكار، والتعاون على الاختيار من الآراء أحسنها للتطبيق والإعمال، لأن بها يستخرج الحق والصواب، وبها يقع التحاور والتواصل الإنساني، فلا تتصور شورى بدون اختلاف في الآراء والأفكار والتصورات، وهي نقيض الاستبداد الذي لا يعترف بالمخالف، بل يستأثر بالسلطة وبالرأي دون الآخرين، ونقيض الفوضى التي لا تعترف بحقوق ولا واجبات ولا التزامات متبادلة بين الحكام والمحكومين، وهذا ما يثير النزاعات، والصراعات، والمعارضات المخربة، بل المعارضة المسلحة، التي تتغيا إسقاط الاستبداد.

فإن الله تعالى الغني عن الخلق، عرض على الملائكة أمر استخلاف الإنسان[69] في الأرض، لتكون الشورى سنة في البشر، وبمقتضى هذه السنة، كانت من طبيعة البشر ومقترنة بأصل تكوينهم، واستشار فرعون في شأن موسى عليه السلام[70]، واستشارت بلقيس في شأن سيدنا سليمان[71]، وعلق ابن عاشور بقوله: "وإنما يلهي الناس عنها حب الاستبداد .."[72].

الشورى خلق لتدبير لكل الاختلافات والنزاعات، لأن الأمر بالشورى عام، سواء كانت بين الأفراد العاديين، أو في الأسرة أو المجتمع أو المؤسسات ..، أو في مجال السياسة بين الحكام والمحكومين، فهي تدير كل الاختلافات التي منشؤها الاجتهاد، وكل ما سكت عنه الوحي، أو ورد فيه النص لكنه ظني الدلالة، أو الثبوت، أو هما معا، فحيث يكون الاختلاف تقع ضرورة الشورى لتدبيره وإدارته.

جاء الأمر بالشورى صريحا في قوله تعالى لنبيه: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران:159) يقول الرازي: "ظاهر الأمر للوجوب فقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ يقتضي الوجوب"[73]، أمر الله تعالى نبيه أن يهيئ المستشارين لمهمة الشورى، بالعفو لما بينه وبينهم، وبالاستغفار لهم فيما لله عليهم، فإذا تحقق هذان الشرطان تهيأت أجواء الشورى، وأصبح المستشارون أهلا لها[74].

وجاء الآمر بالشورى عاما للمسلمين في كل شؤونهم قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:38) يقول الريسوني: "هذه الآية نزلت في المسلمين قبل أن يكون لهم خليفة ولا دولة أصلا، فهي تتحدث عن جماعة المومنين مباشرة وأصالة، فلفظ الآية، والواقع الذي تتحدث عنه، يتعلقان بعموم المسلمين، وليس بدولتهم ولا برئيسهم، ولا بهيئة حاكمة فيهم .. وجاء الأمر بالشورى (يقصد: آل عمران:159) مسبوقا بعبرات وأوامر أخرى لا يشك أحد في أنها متعلقة بالعموم لا بالخصوص .."[75]، ويقول رشيد رضا: "فالمراد بالأمر: أمر الأمة الدنيوي الذي فيه مجال للرأي، لا أمر الدين المحض الذي مداره على الوحي دون الرأي"[76].

وقال تعالى في الشورى العائلية: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة:233). فالشورى عامة تشمل كل المجالات من العائلة إلى القبيلة .. إلى الأمة

يقول ابن عاشور أنها: "في مراتب المصالح كلها: وهي مصالح العائلة ومصالح القبيلة أو البلد، ومصالح الأمَّة"[77].

والشورى واجبة على الأمراء والولاة[78] اتجاه الرعية، فلا يجوز الانفراد بالسلطة واتخاذ القرارات في قضايا الشأن العام دون استشارة الشعوب، وأخذ رأيها، لأن الشورى مشاركة ومعاونة، وتفاعل إيجابي بين الحكام والمحكومين قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران:159)[79] يروي القرطبي عن ابن خويز منداد من المالكية قوله: "واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها"[80].

ومما يحد من الاختلافات والنزاعات لزوم نتائج الشورى للحاكم، وذلك باتباع الإجماع أو الأغلبية، وخصوصا في زماننا الذي قلت فيه الديانات، وضعف فيه الوازع الإيماني والأخلاقي، يقول القرضاوي: "إننا نتبنى القول بوجوب الشورى، وبأن نتائجها ملزمة، ما دامت صادرة من أهلها في محلها، وحسب أمتنا ما لاقت من الطغاة والمستبدين"81.

أما الديمقراطية فهي ابتكار بشري وإنجاز إنساني لمنع الظلم والاستبداد السياسي، وتدبير الاختلاف بين الأقلية والأغلبية داخل الوطن الواحد، وإخضاع السلطة لرقابة الشعب، والحد من سلطات الحكام، وبناء دولة المؤسسات، وحماية حقوق وحريات المواطنين، وهي ليست كفرا ولا فسقا، فكل ما في الأمر هو أن اغتيال الشورى في وقت مبكر، وعدم قيام المسلمين بواجب الشهود الحضاري، وإعطاء البدائل التي يقترحها الوحي على الخلق، وممارستها على أرض الواقع، ظهرت الديمقراطية بآلياتها و"يمكن أن يقبل المسلمون آليات الديمقراطية، وأن يخضعوها لسقفنا الإسلامي، وهو التزام حكم الله فيما هو من القطعيات والثوابت .."[82].

والديمقراطية في النظر الغربي قائمة على ضبط الصراع الاجتماعي، لأن الصراع في النظر الغربي هو الاصل في العلاقات البشرية، وليس الاخوة في المنشأ، والاصل، والمآل، والوظيفة الاستخلافية العمرانية المشتركة .. التي يجب التعاون على إنجازها، ليصبح الكون بيتا عامرا آمنا للبشرية .. كما هو الحال في الرؤية الاسلامية"[83].

فإن الشورى من مفاخر الإسلام، ومن الأدوات والآليات التي قررها القرآن الكريم، لتدبير الاختلاف السياسي، وتنظيم العلاقة بين الحكام والشعوب، وقد أثبتت كفائتها ونجاعتها في نظام الحكم في عصر الخلافة الراشدة، وهذا بشهادة المخالف قبل الموافق يقول الشيخ رضا: "قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة، لبعض المسلمين فيهم أحد شرفاء مكة، أنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية ابن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا(برلين) قيل له لمذا؟ قال لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعم الإسلام العالم كله، ولكنا نحن الألمان وسائر شعوب أوربا عربا مسلمين"[84].

المعلم الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المقصود بخلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاحتكام إلى كل ما يستحسنه العقل والشرع من أعمال الخير والنفع الإنساني، لما في ذلك من تدبير للاختلاف ومعالجته، وتقليل لأسبابه، واتساع مساحة المعروف، وتضييق مساحة المنكر.

والمتأمل في الخطاب القرآني، يجده قد أكد على هذا الخلق في تدبير الاختلاف الإنساني في سياقات مختلفة، حيث يعطي الحق في إبداء الرأي المعارض، والوقوف مع الحق والمعروف، والرفض لكل منكر في حرية تامة، وأمر الله تعالى به "لرفع الحق وإخماد الباطل"[85]، فهو ضابط لسير نظام الحكم في الدولة الإسلامية، وضابط للعلاقات الأخرى سواء كانت فردية أو أسرية أو اجتماعية ..

فهذا الخلق يحمي المجتمع الإنساني من الظلم والاستبداد والفساد ..، والانفراد بالرأي، واتخاذ القرار من جهة واحدة، يحمي الحقوق، ويساعد على أداء الواجبات، يرد المظالم إلى أهلها، ويعالج الخلاف الإنساني، ويضبطه بطلب الحق وقصد الصواب، "فإذا توهم متوهم فيما هو حق، أنه باطل وتصوره بخلاف صورته، فأخذ يدب عنه، فالواجب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن يدفع عن ذلك، ويبين له وجه خطئه ليرجع عنه ويتبصر .."[86].

فإن تعطيل خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتخاذل الناس في ممارسته، مدخل لفساد الحكم، وأكل أموال الناس بالباطل، وضياع الحقوق، والتماطل في أداء الواجبات ..، إلى

غير ذلك من مظاهر الفساد مما ينتج عنه خراب العمران، ولا يخفى ما ينتج عن هذا كله من نزاعات واختلافات لا يعلم كنهها إلا الله.

يقول الغزالي: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد"[87].

ولأهميته في تدبير الاختلاف الإنساني جعله الخطاب القرآني واجبا على كل قادر عليه يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:104) يقول ابن عاشور: "وصيغة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ صيغة وجوب لأنها أصرح في الأمر من صيغة افعلوا لأنها أصلها"[88].

وبذلك يكتسب مشروعيته في أعلى مراتب التكليف الشرعي، فيكون طلبه طلبا جازما، يلحق العقاب من تركه، ويؤجر فاعله، وهو واجب على الفرد والجماعة: هيئة أو نقابة أو منظمة أو دولة ..، وبذلك يكون إبداء الرأي بالمعروف ونهي المنكر قربة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، ويسأل عنها يوم القيامة.

ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفيل بحماية الألفة والاجتماع الإنساني، وممارسة النقد البناء، فإنه يقوم بتطهير المجتمع من المنكر وبناء صرح المعروف، وتنظيم العلاقات الإنسانية، ليقل المنكر ويشيع المعروف في المجتمع الإنساني.

وقال تعالى في طلب إيجاد أولي بقية ينهون عن الفساد في الأرض: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ (هود:116) و﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾، هم "ذو بقية من الفهم والعقل"[89].

فهو خلق يؤثر في الفرد والمجتمع، وذلك بالقضاء على أسباب الانحراف ومظاهره، ويقطع كل الطرق المؤدية إلى الجريمة، وذلك بتقوية الوازع الذاتي للأفراد، ونشر ثقافة قانون الأخلاق في المجتمع.

وهو خلق مشترك للإنسانية، لذلك طلب الخطاب القرآني إيجاد أولي بقية، ينهون عن الفساد في الأرض، وهو أسلوب سلمي في معالجة الاختلاف وتدبيره، حيث أكد القرآن الكريم على الدعوة والجدل بالتي هي أحسن، ويحمي المجتمع الإسلامي والإنساني، من مثارات الاختلاف والنزاع، ويحافظ على الوحدة والائتلاف.

المعلم الرابع: الصلح بين المتخاصمين:

الصلح خلق علاجي عملي لتدبير الاختلاف الإنساني، سواء كان بين المؤمنين أفرادا أو جماعات أوقبائل ..، أو دول لكل واحدة منهما استقلال عن الأخرى، أو كان بين المؤمنين وغيرهم من المخالفين لهم في الدين والمعتقد، داخل الوطن الواحد أو خارجه، فيما يتعلق بالعلاقات الدولية، فهو ضابط لحماية المجتمع الإنساني من التفرق والنزاع والخصام، فالاتجاه نحو الصلح لحماية الأمن والسلم أسلوب حضاري، يقترحه القرآن الكريم على بني الإنسان، وجعل فيه الخيرية المطلقة قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء:128)، للحد من الخصومات المفضية إلى القتال وسفك الدماء ..، وتحصين المجتمع البشري من تداعيات الاختلاف والتباين في وجهات النظر.

والإصلاح هو إنهاء أو إزالة الخصومات والنزاعات والخلافات بين الناس، من أجل بناء الائتلاف الإنساني، فهو خلق مهم في تدبر الاختلاف.

وأشار الخطاب القرآني إلى خلق الصلح بين المتخاصمين لتدبير الاختلافات الإنسانية الفردية والجماعية ..، في سياقات مختلفة، وحث عليه طرفي النزاع، لتدبير اختلافاتهم، والحد من تطور نزاعاتهم ومعالجتها، لتحقيق الائتلاف وتدبير الاختلاف، وحماية الجامعة الإنسانية، المحلية والعالمية، ودفع القتال وإراقة الدماء.

ونعرض في الآتي لأنواع الصلح في الخطاب القرآني، لتجلية أهمية الصلح في تدبير الاختلاف الإنساني ومنها: ما كان بين عموم الناس، كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ومنها ما كان داخل دائرة الإسلام، بين الطوائف الإسلامية، ومنها ما كان بين الأفراد والأسر والعلاقات الاجتماعية عموما[90].

1- الصلح العام بين الناس:

قال تعالى في الدعوة إلى الإصلاح بين عموم الناس، في سياق النهي عن النجوى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:114) يروي البغوي عن مجاهد قوله: "الآية عامةٌ في حق جميع الناس"[91]

وهو عام كذلك في كل ما يختلف ويتنازع فيه الناس يقول القرطبي: "﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه .."[92]، ويقول القاضي أبو الوليد بن رشد: "وهذا عام في الدماء والأموال والأعراض، وفي كل شيء يقع التداعي والاختلاف فيه بين المسلمين"[93].

2- الصلح بين الطوائف الإسلامية:

قال تعالى في الأمر بالصلح بين الطائفتين المختصمتين داخل الدائرة الإسلامية وهو"صلح بين أهل العدل وأهل البغي"[94]: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:9-10).

والصلح المأمور به لتدبير الاختلاف بين المتخاصمين المتنازعين يكون "بالنصح وإزالة الشبهة إن كانت والدعاء إلى حكم الله عز وجل"[95]، وبكل وسيلة وطريقة ما دام يتحقق بها الإصلاح بين المتنازعين، وتحقن بها الدماء، وتجتنب بها الفتن، يقول محمد حسين فضل الله: "﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بالوسائل التي تملكون تحريكها في جمع الشمل ولم الشعث وتأليف القلوب وتقريب المواقف، أو توحيدها، وقد وضع الإسلام الإصلاح بين المؤمنين في مرتبة عليا تتقدم على المستحب من الصلاة والصيام، وقد بلغ الاهتمام به حدا كبيرا، بحيث أجاز للمصلحين الكذب إذا توقف الإصلاح عليه"[96].

3- الصلح الأسري:

فقد شهد عالمنا المعاصر بفعل الخلافات الزوجية، مآسي كثيرة، نتج عنها: كثرة الطلاق، والنزاعات الزوجية، وتفكك الأسر، وضياع الأبناء ..، وكثرت القضايا أمام المحاكم، وواكب ذلك عجز القضاء تدبير هذه الاختلافات، لكثرتها وتنوعها وتشعبها، بتشعب قضايا عالمنا المعاصر، وهذا ناتج عن قصور هذه المحاكم على اختلاف تخصصاتها عن تفعيل خلق الصلح الودي بين الزوجين، أو بين أفراد الأسرة عموما، على وفق الهدى القرآني.

حث القرآن الكريم الزوجين على الصلح عند الاختلاف والنزاع، والمتعلق بنشوز الزوج أو الإعراض عن زوجته قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء:128). يقول ابن جزي الكلبي: "معنى الآية إباحة الصلح بين الزوجين، إذا خافت النشوز أو الإعراض، وكما يجوز الصلح مع الخوف كذلك يجوز بعد وقوع النشوز أو الإعراض"[97]، ويقول الرازي: "قوله ﴿نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ المراد بالنشوز إظهار الخشونة في القول أو الفعل أو فيهما، والمراد من الإعراض السكوت عن الخير والشر والمداعاة والإيذاء، وذلك لأن هذا الإعراض يدل دلالة قوية على النفرة والكراهة"[98].

فهذا توجيه للزوجين بسلوك كل الطرق المؤدية إلى الصلح، من أجل الالفة والاستقرار الاسري، يقول ابن عطية: "وأنواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة، أن يعطي الزوج على أن تصبر هي، أو تعطي هي على أن لا يؤثر الزوج، أو على أن يؤثر ويتمسك بالعصمة، أو يقع الصلح على الصبر على الاثرة، فهذا كله مباح"[99].

وبالجملة الصلح خلق علاجي لتدبير الاختلاف بين المتخاصمين، والتوافق بين الناس، ورفع النزاع والصراع بينهم، ووقف القتال، وقطع الخصومات الواقعة أو المتوقعة، فهو طريق واضح لبناء الائتلاف، والحد من النزاعات، والاختلافات المفضية إلى الحروب، سواء بين المسلمين، أو بينهم وبين غيرهم من المخالفين لهم في الدين أو المعتقد ..، محاربين أو غير محاربين، وسواء تعلق الأمر بالاختلافات الأسرية، أو بالاختلافات الاجتماعية ..، فردية أو جماعية ..

المعلم الخامس: الالتزام بالعهود والمواثيق:

يشير الخطاب القرآني في آيات عديدة إلى خلق الالتزام والوفاء بالعهود والمواثيق، والحث والتشديد على الوفاء بها والوقوف عند حدودها، والالتزام بمضامينها، والتحذير من الخيانة والغدر ونقض العهود، لما تحققه من مقاصد حفظ السلم والأمن والتعايش الإنساني، واجتناب النزاعات والحروب التي تدمر العمران، وتعيق التنمية والتطور، حتى قيل في تعريف العهد "الحفاظ ورعاية الحق والحرمة .. والعهد: الأمان"[100]، وبذلك يكون الالتزام والوفاء بالعهود خلق من أخلاق تدبير الاختلاف في الخطاب القرآني[101].

فإن الخطاب القرآني يدل على أن المعاهدات والمواثيق تكليف شرعي، لأهميتها في تدبير العلاقة بين الناس وخالقهم[102] من جهة قال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (الأنعام:152)، أو بين الناس فيما بينهم[103] من جهة ثانية قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:34).

فخلق الوفاء بالعهود والمواثيق، يشمل كل العهود التي تعقد بين الناس، أو بينهم وبين خالقهم يقول تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة:177)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرعد:20) يقول سيد قطب: "وعهد الله مطلق يشمل كل عهد، وميثاق الله مطلق يشمل كل ميثاق"[104].

الخطاب القرآني يحث المسلم على الالتزام والوفاء بالعقود[105] التي تبرم مع المخالف، من معاهدات واتفاقات دولية أو محلية أو غير ذلك .. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:1) فهذا أمر بالوفاء بالعقود المبرمة بين طرفين أو أكثر، كيفما كان نوعها أو شكلها، "من أمان وذِمَّة، أو نصرة، أو نكاح، أو بيع، أو شركة، أو غير ذلك من العقود."[106] أي سواء تعلق الأمر بالنظام السياسي، أو النظام الأسري، أو بالبيع والشراء، أو غير ذلك من المعاملات الإنسانية ..

ويقول تعالى في لعن الذين ينقضون الميثاق: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ

الدَّارِ﴾ (الرعد:25)، وفي المقابل يمدح الموفين بالعهد والميثاق يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرعد:20) ﴿.. أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ..﴾ (الرعد:22-23).

ويشدد على الالتزام بالمعاهدات ولو مع أشد الناس عداوة للمومنين: اليهود والمشركين قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:4) فالاستثناء في الآية يتعلق بالمعاهدين يقول دروزة: "وفي الاستثناء حكم مستمر المدى كما هو المتبادر"[107].

لكن القرآن الكريم رغم حرصه على المعاهدات والالتزام بها، لتدبير الاختلاف الإنساني بعيدا عن الحروب، لم يجعل الالتزام بالعقود على إطلاقه، بل قيده بالتزام الطرف الأخر، لذلك أجاز القرآن الكريم قتال المخالف إذا لم يلتزم بالمتفق عليه، ونقض العهد قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة:12) يقول القنوجي البخاري: "فيه وجوب قتالهم إذا نكثوا الأيمان ونقضوا العهد، وأعلمنا سبحانه أنهم إذا طعنوا في ديننا كطعنهم في القرآن العظيم وسبهم النبي صلى الله عليه وسلم انتقض عهدهم"[108].

وتتجلى أهمية المعاهدات والمواثيق في إدارة الاختلاف وتدبيره، في التطبيق العملي للقرآن الكريم على يد رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة المنورة بعد الهجرة، في إطار التأسيس لأول دولة إسلامية "فخانوا وغدروا"[109] ومعاهدة صلح الحديبية مع مشركي مكة[110]، "فنقضوا عهدهم"[111]، والعهد النبوي لنصارى نجران بتاريخ الثالث من محرم، في السنة الثانية للهجرة[112] ...

الخلاصات:

ومن خلال هذه الدراسة نستخلص ما يلي:

1 - القرآن الكريم كتاب أخلاق وقيم، لأنه كتاب هداية للبشرية، فهو يوجه الخلق نحو التقوى والاستقامة.

2 - خلق الله تعالى الناس مختلفين، وهي سنته سبحانه في الخلق، فالاختلاف سنة كونية وحقيقة شرعية، لكنه وجههم إلى الأخلاق والقيم المشتركة الجامعة المؤلفة

3 - جعل الله تعالى للناس رغم اختلافهم أخلاق وقيم كلية قادرة على تدبير اختلافاتهم، إما عن طريق الوقاية قبل الاختلاف الصراعي أو الصدامي، أو علاجها بعد وقوعه..

4 - اشتمل الخطاب القرآني على نظرة أخلاقية متكاملة لتدبير الاختلاف الإنساني، فعالجه قبل الوقوع وبعده.

الهوامش :

1- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف:189) قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الزمر:6)

2- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، للإمام محمد الرازي فخر الدين(ت:604ه)، دار الفكر ، ط/1، (1401ه/1981م)، 164/9.

3- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط/1، (1420ه/2000م)، 512/7.

4- الإيمان والعمران، عبد المجيد النجار، مجلة إسلامية المعرفة، العدد:8، السنة الثانية،(1417ه/1997م) ص: 69.

5- (هود:61) (هود:50) (هود:84) (النمل:45)، (الأعراف: 85) (الأعراف:73) (العنكبوت:36)

6- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي، 161/14.

7- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية،(1984م)، 201/8.

8- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رشيد رضا (ت: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م)، 441/8.

9- مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم، الدكتور الشاهد البوشيخي، رسائل الهدى(4) منشورات المحجة، أنفو-برانت، فاس، ط/1، (1423ه/2003)، ص: 15.

10- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، الرازي، 231/26-232.

11- مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم، الدكتور الشاهد البوشيخي، رسائل الهدى(4) ص: 19.

12- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة:87-88)

13- ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف:26)

14- ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:8)

15- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ (النحل:80)

16- ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (النحل:80)

17- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ (البقرة:223) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة:187)

18- المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني، الدكتور محمد رفيع، مجلة إسلامية المعرفة، العدد: 66، (1432ه/2011م)، ص:124.

19- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ، ص:279.

20- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 275/2.

21- المعجزة الكبرى القرآن نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، حكم الغناء به، تفسيره، دار الفكر العربي، بدون سنة الطبع، ولا تاريخ، محمد أبو زهرة، ص:533.

22- يقول الزمخشري: "وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (التوبة:5) والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبدا، أو يجابوا إلى الهدنة أبدا". الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3/(1430ه/2009م)، 418/10.

23- تفسير غريب القرآن المجيد، زيد بن علي(ت: 122ه/740م)، تحقيق: محمد يوسف الدين، Qadena Nisemen، troop bazar 536-1-4، hyderabad-500-001 A P INDIA، First Edition 1422h/2001AD، ص: 106.

24- المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص:533.

25- العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، القنوجي البخاري، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول أبو هاجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/2، (1408ه/1988م)، ص:77.

26- نفسه.

27- بحر العلوم، السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، 351/1.

28- في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (النساء:89-91). المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص:536-538.

29- والقسط: العدل، ويدل على ذلك القرآن الكريم حيث يعبر على المعنى الواحد بالفظين وفي سياق واحد قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ (الحجرات:9)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:8)...

30- الوحي المحمدي، ثبوت النبوة بالقرآن ودعوة شعوب المدينة إلى الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام، رشيد رضا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط/3، (1406ه)، ص:295.

31- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم(ت:751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1(1411هـ/1991م)، 284/4.

32- يقول أبو زهرة: "فإذا نهى الله تعالى نبيه داود عن اتباع الهوى وهو خليفة حاكم، فإنما نهاه عما يؤدي إلى فساد الحكم، وبهذا يتبين أن حكم الهوى كان مصدر فساد الحكم في الماضي، كما هو مصدر الفساد في كل الازمان ..". المعجزة الكبرى القرآن نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، حكم الغناء به، تفسيره، ص:212.

33- بمعنى تفسير الميزان بالعدل

34- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية(ت:546)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/1(1422ه/2001م)، 269/5.

35- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، الريسوني، دار الكلمة، القاهرة-مصر، ط/1(1434ه/2013م)، ص:84-85.

36- كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، محاكمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم صالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، ط/4،(2004م)، ص:139.

37- كيف نتعامل مع القرآن العظيم، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط/3(1421ه/2000م) ص:119.

38- قواعد الأحكام في مصالح الأنام العزيز بن عبد السلام(ت:660هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،(1414ه/1991م)، 189/2-190.

39- المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص: 456.

40- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 255/14.

41- نفسه.

42- دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، عبد الله دراز، تعريب والتحقيق والتعليق: عبد الصبور شاهين، مراجعة: محمد السيد بدوي، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط/10(1418ه/1998م).ص:144. والنظر كذلك ما ذكره المؤلف في قاعدة العدالة الشاملة، نفسه: 53.

43- ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص:457.

44- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(ت:671هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (1423هـ/ 2003م)، 62/3.

45- المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص: 456.

46- الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط/1(2005م)، ص:100.

47- إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط/1(1422ه).كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، رقم: 3336، 133/4.

48- الثقافة: "هي الأفكار والقيم والنظم والعادات والتقاليد والأعراف وشبكة العلاقات الاجتماعية بتطبيقاتها المختلفة التي تنتجها الأمة خلال ماضيها وحاضرها مستمدة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة". مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، ماجد عرسان الكيلاني، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط/1(1416ه/1995م)، ص:129.

49- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي(ت:1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/1،(1420هـ/2000م)، 802/1.

50- المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ص:458.

51- نفسه، ص:532-533.

52- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط/3، 38/1. رغم أن السياق الذي استعمل فيه السيوطي العلاقة بين التعارف والتعاون مختلف عن سياقنا، إلا أنه يمكننا استعارة هذا المعنى وتوظيفه في هذا السياق، وخصوصا إذا أضيف إلى كلام السعدي السابق فإنه يقويه.

53- يقصد: (الحجرات: 13).

54- النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف: دراسة تأصيلية تحليلية، محمد رفيع، دار السلام، القاهرة، ط/1، (1433ه/2012م)، ص:47.

55- يقول الراغب: "وتَعَارَفُوا: عَرَفَ بعضهم بعضا. قال: لِتَعارَفُوا (الحجرات: 13)، وقال: يَتَعارَفُونَ بَيْنَهُمْ (يونس: 45)" المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني(ت:502ه)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط/1 (1412ه)، 561/1.

56- كليات رسائل النور(2)، المكتوبات، سعيد النورسي، ص: 413.

57- منهج القرآن في تربية المجتمع، عبد الفتاح عاشور، مكتبة الخانجي، ط/1(1399ه/1979م)، ص: 374.

58- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 46/6.

59- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم(ت:456ه)، تحقيق: محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، 130-129/4.

60- أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، خير الدين التونسي، تحقيق: محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط/1(1433ه/2012م)، ص: 3.

61- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 46/6.

62- حجة الله البالغة، الدهلوي، حققه وراجعه السيد سابق، دار الجيل، ط/1،(1426ه/2005م)، 114/1.

63- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، 166/6.

64- العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط/13(1413ه/1993م)، ص:23.

65- المنهاج في ترتيب الحجاج، أبو الوليد الباجي،(ت:474ه)، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط/2، (1987م)، ص:8. وينظر أهم الكتب التي ألفت في فن الجدل في: رسالة في الجدل بمقتضى قواعد الأصول، ابن البناء المراكشي(654ه/761م)، تحقيق: محماد رفيع، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ص:32.

66- الفوز الكبير في أصول التفسير، الدهلوي(1176ه)، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط/1(1429ه/2008م)، ص:20.

67- المستدرك على الصحيحين، الحاكم(ت:405ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1(1411ه/1990م)، كتاب: الجهاد، 91/2.

68- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم(ت:456ه)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/1(1980م)، 26/1. وينظر كذلك رد ابن تيمية على شبهة: منع الجدل مع الكفار بناء على ظهور دلائل النبوة في: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية(ت:728ه)، 243/1. ورده كذلك على شبهة: منع الجدل مع الكفار بناء على نسخ آيات الجدال معهم بآيات السيف وفرضية الجهاد، وجاء رده على هذه الشبهة في تسعة وجوه. نفسه، ص: 219-246.

69- قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:30).

70- قال تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الأعراف: 110).

71- قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل:32).

72- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 150/4.

73- مفاتيح الغيب، الرازي، 69/9.

74- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 249/4.

75- الأمة هي الأصل مقاربة تأصيلية لقضايا الديمقراطية، حرية التعبير، الفن، أحمد الريسوني، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط/1،(2012م)، ص: 24-25.

76- تفسير المنار، رشيد رضا، 164/4.(تصرف يسير)

77- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 148/4.

78- يقول ابن عاشور: "واختلف العلماء في مدلول قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ هل هو للوجوب أو للندب .. ". التحرير والتنوير، ابن عاشور، 148/4. وذكر أن مذهب المالكية الوجوب، والاستحباب عند الشافعي، والمختار عند النووي من علماء الشافعية الوجوب، وكذلك الفخر الرازي كما سبق ذكره، أما الحنفية قال ابن عاشور أنه لم ينسب لهم كلام في المسألة، إلا أن مجموع قول الجصاص أحد علمائهم يدل على الوجوب. نفسه: 148/4-149.

79- والمأمور بمشاورتهم صلى الله عليه وسلم في الآية هم المنهزمون في أحد، والآية ليست خاصة بهم، بل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

80- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 250/4.

81- الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، مكتبة وهبة، ط/2(1417ه/1997م)، ص: 73. الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، القرضاوي، دار القلم، الكويت-القاهرة، ط/1(1417ه/1996م)، ص:122.

82- المسلم مواطنا في أوروبا، فيصل المولوي، سلسلة قضايا الأمة(2)، من إصدارات: الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، (1429ه/2008م)، ص: 82.

83- التعددية .. أصول ومراجعات بين الاستتباع والابداع، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، سلسلة أبحاث علمية(11)، القاهرة، ط/1(1417ه/1996م)، ص:17.

84- الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص: 282.

85- الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي(ت:790هـ)، شرحه وخرج أحاديثه: عبد الله دراز، وضع تراجمه: محمد عبد الله دراز، خرج آياته وفهرس موضوعاته: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/1، (1411ه/1991م)، 175/1.

86- مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري، ابن فورك(ت:406ه)، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط/2(1427ه/2006م)، ص:309.

87- إحياء علوم الدين، الغزالي(ت:505ه)، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار، زين الدين أبي الفضل العراقي(806ه)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط/1(1426ه/2005م)، ص: 781.

88- التحرير والتنوير، ابن عاشور، 37/4.

89- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، 526/15-527.

90- وذكر ابن حجر أقسام للصلح قال: "والصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر والصلح بين الزوجين والصلح بين الفئة الباغية والعادلة والصلح بين الْمُتَغَاضِبَيْنِ كالزوجين والصلح في الجراح كالعفو على مَالٍ والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت الْمُزَاحَمَةُ إما في الْأَمْلَاكِ أو في الْمُشْتَرَكَاتِ كَالشَّوَارِعِ وهذا الأخير هو الذي يتكلم فيه أصحاب الفروع". فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، (1379ه)، 298/5. وذكر ابن قدامة أنواعا للصلح وهي: الصلح بين المسلمين وأهل الحرب، والصلح بين أهل العدل وأهل البغي، والصلح بين الزوجين. ينظر: المغني، ابن قدامة(ت:620هـ)، مكتبة القاهرة، بدون طبعة،(1388هـ/1968م)، 357/4.

91- معالم التنزيل، البغوي(ت:510هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط/4(1417هـ/1997م)، 286/2.

92- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 384/5. وينظر كذلك: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (ت:1250)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط/1، (1414هـ)،594/1. وقال الشنقيطي: "لم يبين هنا هل المراد بالناس المسلمون دون الكفار أو لا. ولكنه أشار في مواضع أخر أن المراد بالناس المرغب في الإصلاح بينهم هنا المسلمون خاصة". ينظر

تفصيل هذا الرأي في: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي(ت:1393هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، بدون طبعة، (1415هـ/1995م)، 306/1-307.

93- المقدمات الممهدات، أبو الوليد بن رشد(520هـ)، دار الغرب الإسلامي، ط/1(1408هـ/ 1988م)، 515/2.

94- المغني، ابن قدامة، 357/4.

95- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي(ت:1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1(1415هـ)، 301/13.

96- تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، ط/2،(1419ه/1998م)، 145/21.

97- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، عناية: أبو بكر بن عبد الله سعداوي، المنتدى الإسلامي، حكومة الشارقة، ط/1(1433هـ/2012م)، ص:2001.

98- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 66/11.

99- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، 119/2.

100- كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى، أبي عبيد القاسم بن سلام(224ه)، تصحيح: امتياز علي عرشي، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، بدون طبعة، (1403ه/1983م)، ص:32.

101- تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء:34)، وقال تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (الأنعام:152)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:8)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: 91)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة:177)، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾(النساء:90)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (الرعد:20)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد:25)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:1)، وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:4) ..

102- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: 225/12-226

103- نفسه، 444/17

104 - في ظلال القرآن، سيد قطب(ت:1387ه)، دار الشروق، القاهرة-مصر، ط/32(1423ه/2003م)، 2057/13.

105- يقول الإمام الطبري: " و"العقود" جمع"عَقْد"، وأصل"العقد"، عقد الشيء بغيره، وهو وصله به، كما يعقد الحبل بالحبل، إذا وصل به شدًّا. يقال منه:"عقد فلان بينه وبين فلان عقدًا، فهو يعقده .. وذلك إذا وَاثقه على أمر وعاهده عليه عهدًا بالوفاء له بما عاقده عليه، من أمان وذِمَّة، أو نصرة، أو نكاح، أو بيع، أو شركة، أو غير ذلك من العقود". جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، 451/9-452.

106- نفسه، 451/9-452.

107- التفسير الحديث، دروزة(ت:1404ه)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط/1(1383ه/1964م)، 350/9.

108- العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، القنوجي البخاري، ص:81.

109- تفسير المنار، رشيد رضا، 134/10.

110- سيرة ابن هشام: ج/3، ص:204-205.

111- تفسير المنار، رشيد رضا، 134/10.

112- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها: محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط/6(1987م)، ص:561 وما بعدها.